الحاجات وتفريج الكربات في أمور لا تُسأل ولا يلتجأ فيها إلا إلى رب الأرض والسماوات . والنياحة قال عنها نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » ، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » ، فبدل أن يكون يوم عاشوراء يوم صيام شكراً لله عَزَّوَجَلَّ تحوَّل عند أقوام بسبب هذه الحادثة إلى يوم مناحة ومأتم تمارس فيه أعمال جاهلية ليست من دين الله عَزَّوَجَلَّ ، بل إن كثيراً منهم يتقرَّب في ذلك اليوم بأن يريق شيئًا من دمه إما من ناصيته أو من ظهره ويعتقد أن ذلك موجبًا للغفران ورفعة الدرجات !! وهيهات أن يكون ذلك العمل من دين الله عَزَّوَجَلَّ أو أن يكون من شرعه أو أن يكون مما يقرُّه الحسين ابن علي وغيره من سادات الصحابة وأولياء الله المتقين .

- وقابل هؤلاء القوم الغلاة أقوامٌ آخرين عاملوا أهل البيت بالجفاء والتنقُّص والاحتقار وعدم معرفة أقدارهم ؛ ألا وهم الناصبة الذين ناصبوا آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العداء ، فجعلوا ذلك اليوم يوم فرح يوسِّعون فيه على أنفسهم باللباس وبالأطعمة وبالحلوى وبالزينة ونحو ذلك . وهذه طريقةٌ مقابلة للطريقة الأولى مضادة لها ؛ فالأولون غلاة ، وهؤلاء جفاة، ولا أعلم لأهل هذه الطريقة وجودا في هذا الزمان.

- وخير الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها وهو الطريق الذي عليه أهل السنة والجماعة والحق والاستقامة بأن مضوا على سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم يصومونه شكراً لله جَلَّ وَعَلَا ، وأما ما حدث للحسين في ذلك اليوم فإنه معدود عند أهل السنة جريمة عظيمة وظلم وعدوان ، والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قُتل في ذلك اليوم شهيداً في سبيل الله لكننا لم نُؤمر عند قتل الشهداء لا الحسين ولا غيره أن نتخذ ذلك اليوم مأتماً أو يوم مناحةً أو نحو ذلك ؛ فهذه كلها من أعمال الجاهلية وليست من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في شيء .

فلنحمد الله جَلَّ وَعَلَا أن هدانا وأن شرح صدورنا للحق وأن جنَّبنا طرائق الغلاة والجفاة وأن جعلنا أهل وسطية واعتدال ، ولنتقرب إلى الله بحبِّ آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولنعرف لهم قدرهم ولنرعى لهم حقهم بلا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط .

وبمناسبة الإشارة إلى قصة قتل الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ظلماً والإشارة إلى مكانة آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذين أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن نعرف لهم حقهم وأن نرعى لهم مكانتهم ، بهذه المناسبة إحقاقاً للحق وبياناً للصواب أشير هنا إلى إمام من الأئمة وعلَم من الأعلام ومجدِّدٍ من المجددين أصلح الله عَزَّوَجَلَّ به الدين وهدى به العباد وجدَّد به الملة إنه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى؛ فهذا الإمام معروفٌ بمواقفه النبيلة وجهوده العظيمة ونصرته لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. ولقد ادَّعى أقوام لا خلاق لهم أن هذا الإمام -وحاشاه - يبغض آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وادَّعوا ظلما وكذبا وزورا أنه يسب آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنه لا يعرف لهم مكانة ولا يرعى لهم قدرا ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥] ، وحاشا هذا الإمام وغيره من أئمة المسلمين وعلماء الدين أن يكونوا بهذه الصفة أو بهذه المثابة التي لا يكون عليها سفهاء الناس فضلاً عن أئمة الفضل أهل الرفعة والمكانة والنبل .

ومن يقرأ تاريخ هذا الإمام وحياته الكريمة ويطَّلع على مؤلفاته المباركة يجد بجلاءٍ ووضوح المكانة العظيمة والقدر الرفيع الذي يتبوأه آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قلب هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ ولهذا جاء في مواضع كثيرة من كتبه الثناء العاطر على آل البيت وبيان مكانتهم العظيمة ومنزلتهم الرفيعة وبيان حقوقهم والواجب نحوهم، بل إنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من شدة حبه لآل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعظيم معرفته بمكانتهم سمى عامة أولاده بأسماء آل البيت ؛ فأولاده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هم : علي والحسن والحسين وفاطمة وإبراهيم وعبد الله ، وجميع هذه الأسماء من أسماء آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسمى إضافةً لهؤلاء عبد العزيز ، وهذا من الشواهد والدلائل البينات على عظيم ما قام في قلب هذا الإمام من مكانة لآل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومع ذلك يدَّعي الأفّاكون أنه يبغض آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !! ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] .

منشورات موقع منابر الكتاب والسنة

يوم عاشوراء

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نستقبل في أيامنا القريبة القادمة يومـًا عظيمًا من أيام الله الفاضلة؛ إنه يومٌ له فضيلة عظيمة وحرمةٌ قديمة ، أهلك الله عَزَّوَجَلَّ فيه أشدَّ أهل الأرض طغيانا وأعظمهم إجراما وأكبرهم عتواً واستكبارا ، الطاغيةَ الباغية المستكبر فرعون وأهلك معه قومه في لحظة واحدة هلاك نفسٍ واحدة ، عبرةٌ عجيبة وآيةٌ عظيمة من آيات الله الكبار، ووقع هذا الحدث العظيم والآية الجسيمة في اليوم الذي نستقبله اليوم العاشر من شهر الله المحرم .

لقد عاش ذلك الطاغية الظالم ، الباغية المستكبر ؛ عيشةَ طغيان وعتو واستكبار وتمرد وعناد حتى بلغ به طغيانه أن قال لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨] ، وأن قال: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٢٣]، وأن قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] إلى غير ذلكم من كلمات الطغيان والكفر والإلحاد والتمرد العظيم ، كان جباراً طاغية متعالياً متغطرسا مستخِفًّا بقومه، يرى آيات الله ونعمه العظام وعطاياه الجسام فلا يزداد إلا بُعدا وإعراضا وصدوداً واستكبارا ؛ حتى إنه حوَّل عند قومه تلك النِّعَم العظام برهانـًا على أحقيَّة ما يقول وصدق ما يدَّعي ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف:٥٤] ، وكان مما يفخر به الأنهار العظيمة التي تجري من تحته ، ولما أراد الله عز وجل هلاك هذا الطاغية أهلكه هلاكـًا فيه عبرةٌ للمعتبرين وآية للمتَّعظين ؛ حيث أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه وصفيه ورسوله وكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يسري بعباد الله المؤمنين ليلا ، فخرج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليلاً قِبَل البحر الأحمر وعلِم الطاغية بخروج موسى ومن معه فأمر أن يُحشر له الناس وأن يُجمع له أتباعه من المدائن ومن الأماكن المتفرقات فلما اجتمعوا انطلق بجنوده وعتاده في أثر موسى ومن معه ، فلما بلغ موسى ومعه قومه البحر وتراءى الجمعان - وتأمل هذا الموقف العصيب - ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الشعراء] أي إن البحر أمامنا إن خُضناه غرقنا ، والعدو خلفنا إن وقفنا أدركنا ؛ فأين المفر ؟ قال موسى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢] ؛ تأمل أيها المؤمن هذا التوكل العظيم على الله والثقة بالله عَزَّوَجَلَّ ، يقول

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ قد يقول قائل : إلى أين؟ العدو خلفهم والبحر أمامهم !! ولكن النصر من الله ، ومن توكل على الله كفاه ولو كاده مَن في السماوات ومن في الأرض ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣] .

اقترب موسى من البحر وثقته بالله عظيمة وتوكله على الله عظيم، اقترب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من البحر ؛ فأمره الله أن يضرب بعصاه البحر - الله أكبر - ضرب موسى بعصاه البحر فانفلق البحر عن اثني عشر طريقـًا ، وصارت أرض البحر أرضـًا يبسا لا وحل فيها ولا زلَق، وصار الماء السيَّال واقفـًا بين هذه الطرق وقوف الجبال - الله أكبر !! -

ثم يمضي موسى ومن معه في هذه الطرق وعن يمينهم وعن شمالهم الماء واقفٌ وقوف الجبال والأرض تحتهم أرض يبس ، فمضى ومن معه حتى تكامل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه خارجين من البحر من جهته الأخرى ، وتكامل فرعون ومن معه من جنودٍ وعتاد داخلين في البحر حتى اجتمعوا جميعهم فيه في تلك الطرق ؛ حينئذ أمر الله عَزَّوَجَلَّ البحر أن يعود كما كان ، فهلك هو ومن معه هلاك نفسٍ واحدة بما كان يفخر به حيث كان يقول : ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ [الزخرف:٥١] فأهلكه الله عَزَّوَجَلَّ غرقـًا بالماء ومن معه .

إنها آية عجيبة ، إنها آية عظيمة وقعت في اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، أدرك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منَّة الله العظيمة عليه وعطيته عَزَّوَجَلَّ الجليلة حيث أهلك هذا الطاغية المتكبر في ذلك اليوم ؛ فصامه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شكراً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم إن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قدِم المدينة مهاجراً رأى اليهود يصومون يوم عاشوراء -والحديث في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وقومه فصامه موسى شكراً لله ، قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمر بصيامه .

بل إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن فضيلة عظيمة وثوابٍ جزيل لمن

صام يوم عاشوراء ؛ففي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال : « صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » ؛ والمراد بالتكفير : أي تكفير الذنوب فيما دون الكبائر ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١] ، وثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال : « لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ » أي مع العاشر مخالفةً لليهود .

ولهذا يسنُّ لنا أن نصوم يوم عاشوراء اليوم العاشر من شهر الله المحرم شكراً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن نصوم اليوم التاسع مخالفةً لليهود كما هو هدي نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

ثم إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ - وله الحكمة البالغة - ابتلى في يوم عاشوراء وتحديداً سنة واحد وستين بعد الهجرة عبداً من عباده ووليًّا من أولياءه ورجلاً عظيمـًا شهد له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالجنة ابتلاءً عظيمًا بأن قُتل في هذا اليوم مظلومـًا شهيداً في سبيل الله ، وهذه الشهادة رفعة له عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعلواً في منزلته ومقامه؛ إنه الحسين بن علي ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، وكان قتله ظلمـًا وعدوانـًا وتعدِّيا ،وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شهيداً في سبيل الله، والذي نِدين الله عَزَّوَجَلَّ به ونعتقده أنه قُتل شهيداً وأنه قُتل ظلما وأنَّ له المكانة العلية والمنزلة الرفيعة في جنات النعيم ، وقد قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنه وعن أخيه الحسن : « سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

وكان هذا القتل فيه ابتلاء ومحنة وتمحيص ؛ ولهذا تفرَّق الناس من بعد ذلك القتل الذي حصل له إلى طرائق : ما بين غالٍ متجاوز لحد الله ، وبين جافٍ غير مبالٍ بمكانة أولياء الله وأصفيائه ، وبين أهل توسطٍ واعتدال وقوام وسداد ألا وهم : أهل السنة والجماعة؛ أهل الوسطية والاعتدال بلا تفريط ولا إفراط ولا غلو ولا جفاء .

- أما طائفة من الناس فتحوَّل عندهم يوم عاشوراء من كل عام إلى يوم مناحةٍ ومأتم يمارسون فيه أعمالاً لا تُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليست هي من دين الله بل جاء الدين الإسلامي بتحريمها ومنعها وتجريمها وبيان عقوبة فاعلها ؛ من نياحةٍ ولطم للخدود وشقٍّ للجيوب ودعاءٍ بدعوى الجاهلية بل إلى ما هو أعظم من ذلك ألا وهو الشرك بالله بالاستغاثة بالحسين والالتجاء إليه وسؤاله قضاء